

الفقراء

عندهم وكل المخاطر الناجمة عن العوز. انا لست أوهم ان لنا فردوساً على الارض نأكل فيه ونشرب ولو أمنت انه لا يسوع لنا ان نذبح موعداً مع العدالة. اردت فقط ان أشهد ان للمسيح اخوة جالسين منذ الآن في ضيائه وانهم عنده المصطفون ولك انت ان تتبين طريقك اليهم لتعرف طريقك اليه.



قد يختار الفقير ان يلازم فقره اذا رأى في نفسه خطراً ان ينتقل الى حال اخرى. قد يختار الغني الفقر اذا أحب. ولهذا سميت عندنا الرهبانية الفقر الاختياري. قد يرى الانسان انه اذا بات على القليل يقترب الى الله. هذا خيار صعب لكنه ممكن. لا يفرض على احد. ولكن من رأى ان الفقر سيبله الى الله فهذا يحسب له برأ وليس لأحد منا تدخل بين النفس وخالقها. قد يؤثر احدنا ان يموت فقيراً اذا تغلب على الخوف، اذا عرف مخاطر الامتلاك. قد يرى نفسه حراً في عدم الاقتناء أو قلة الاقتناء. هو لا يمنع أحداً من التغلب على الحاجة. هو له ان يعتنق الحاجة سبيلاً الى الحرية. الا يحتاج الى احد ولا يتخسر في حاجته فهذا شأنه خصوصاً ان عرف ان قبوله الهبة انما يرتضي معها في كثرة الاحيان الهبة. "الفقراء معكم في كل حين" قولته ليسوع ليست فقط ملاحظة وجود. في حسي انما دعوة لمن قدر على قبولها. وليس في هذا الموقف امانة لأحد فليس عند من ارتضى فقره استملاءً فضيلة. انه الشوق لمجالسة اكيدة للسيد، شوق من لا يسعى الى مكافأة في الارض، حب للمكوث في الطبوكات منذ الآن، اكتفاء بالكنز الوحيد الذي القلب موضعه، هذا يقدر ان يقول لله مع العلاج: "مكانك في القلب القلب كله".

هذا هو الغنى بالذات ان يستطيع ان يغني بغير الله او من يزيد على الله شيئاً؟



انا اعرف ان هذا لا يحل المشاكل الاقتصادية في العالم. ربما لا يملك احد صيغة لهذا الحل. الوجود كله تجربة ومحاولة. لكن العالم مرض، برؤية البنى وتحليلها واصلاحها او الثورة عليها. الفكر الغربي يرى دائماً الى البنى، الى العام وعيقرتيه عبرية القانون. وهو يحلم بالتطور ولا بد من احلام. لكن التطور ليس بعد نفسه التحسين. واذا اتخذنا الانسان بكل تركيبه وتعقيده فليس ما يدل على ان التقدم هو بالضرورة السير الى الاجمل والابهي بالمعنى الانساني الشامل. والسؤال الاكبر هو من اين نبدأ. انبدأ من الهيكليات الاقتصادية والسياسية لنصل الى الانسان في عمقه وسره أم نبدأ من الشخص البشري الراقى روحياً لنردك ما امكن انراكه من تعمير الارض؟ وهل علينا ان نختار بين هذه المسيرة وتلك ام نشرع فيهما معاً على الرجاء؟

العقل الاوروبي لم يوصلنا الى القلب. وفي الواقع صدرت كل الاحلام الكبرى والطموحات الكبرى من الاحساس الوجداني. وهذا انسكب طموحات وانظمة أي قانوناً. وعالم القانون قائم ليضع حداً للجنون لكنه لا يشفي الجنون. والقانون قائم بسبب الخطيئة ولا يستطيع ان يحارب الخطيئة. انه ينقذ فقط من بعض الابدان منها. المشكلة الحقيقية قائمة حتى النهاية في النفس البشرية. الويل لمن جعلها في تشعباتها، في الاعماء، في فرانتها، في عزتها، في انكسارها.

الغنى عالم الخاص. يبقى عالم العام الذي له مجاله ولكن لا يكفي وحده لدل مشكلة الانسان الوحيد في اوجاعه. عندما عالمان يلتقيان أو يتقاطعان ولا يلتقيان دائماً. جل ما اردته في هذه العجالة ان الذين هم في عمق الالم لهم استقلال كبير او يمكن ان يكون لهم استقلال كبير عن العام ومحاولاته. ذلك ان هؤلاء قادرين على الا يتخذوا كيانهم الا من الله الواقف فوق على البنى وعلى النفس البشرية معاً. انهم في تقديمهم الكبير لوطاة الهيكليات عليهم يشهدون انهم جعلوا الله مآكلهم ومشربهم وانهم - فيما يسعى الآخرون الى الحفل بينه - يسعى هؤلاء الى ان يقيموا منذ الآن في المجد الالهي.

المطران جورج خضر

لا يقال الفقر ضد الغنى كما لا تقال الشمس ضد العتامة. ليس الفقر عدماً ليقايس. لا يحكى الا الوجود، عنيت الفقر لأن سيدي أحبه فانوجدت والوجود لا يمتدح. الفقير عارف لأنه يرى مثل الناصري الشريد. الفقير قنيل. لذلك يعلو. يعلو هنا. الملكوت نشته صاحبه هنا على ضفاف بحيرة طبرية. ولما فتح فاه قال: "طوباكم ايها الفقراء"، يا جميع الجياع بين الهند والحيشة، المشلوحه اولادهم على أرضها العواصم.

في رواية لوقا وحدهما "طوباكم ايها الفقراء لأن لكم ملكوت الله". حدة لم تبلغها قولة متى: "طوبى للمسكين بالروح". والمفسرون يقولون لنا ان الكلام الاكثر حدة هو ما صدر عن هم السيد. ويقول الذهبي الفم ان المسكنة بالروح هي التواضع. وقد تشمل كل طبقات الناس. لمانا الطوبى للمحرومين على الصعيد المادي عند لوقا الانجيلي؟ انه هو القائل ايضاً في الله: "مألاً الجياع من الخيرات والأغنياء أرسلهم فارغين"، الانجيل الثالث انجيل فقري اذاً. يبدو ان الدعوة تتضمن مناصرة للفقراء من حيث هم. لمجرد حرمانهم وكأنه يقول انهم انصاره.

انا لست بلائم أحداً منهم اذا سعى الى المال. لعل هذا من تعلقه بأولاده وعلمهم وصحتهم. انا لست بقائل ان هذا من الخطأ ولعلي اذا كتبت عن بلد لا أريده متخلفاً بالمعايير المتعارف عليها اليوم. كذلك اطلب العدالة واناضل من اجلها. واكره من نادى في سبيل ذلك بقتل الاثرياء وانا لا أكره واحداً منهم بل لبعض منهم عندى مودات. ما هذا يبحثنا اليوم. وانا في هذه اللحظة لا أكتب عن العطاء وعن المعطي بتعميل كما يدعو الى ذلك بولس. هذه المرة لا أعظ أحداً ولا اغضل بين ناس وناس. اعلن فقط بناء على الكلمة الالهية ان الهي لصيق بالفقراء وانه لما اتخذ هيئة بشرية اقام مع المستضعفين، في حيزهم وبنوا واحداً منهم كي لا يشعروا ان بين الله وبينهم هوة.



أريد ان اقول للفقراء (لو استطاعوا ان يشترتوا جريدة) ان الخطر المحدق بهم - في سعيهم - ان يشتموا المال. الجهد في سبيله ليس الطمع به. كيف يفهموني لو قلت لهم ان وضعهم مبارك وان فيه نعمة. انا ما قلت ان يتبتوا في عالم ولكني ادعومهم ان يتبتوا في قلوبهم لأن الله كنزهم وان عرفوا ان يشتموه يتزهدون عن كل خطيئة.

هناك مصطلحات أوجدتها الامم المتحدة لما تحت افهومة التنمية في الخمسينات فتعلمت الدول ان تتكلم عن حد الفقر وان ثمة من كان دونه. انا لا أنفي شيئاً مما تقونه الامم المتحدة ومتفرعاتها الاقتصادية وأكره المتخلفين الذين سينمونني بالطوباوية. انا لا ابني نظرية. اعتقد ان هناك مرتبة من الوجود يستطيع فيما التماثل ان يخرج نفسه من حيز كل هذه اللغة الانمالية. هناك مرتبة الوجود لا علاقة لها بالاقتصاد السياسي وهي مرتبة ذلك الذي وحد المسيح نفسه به اما قال: "كنت جائعاً فأطعمتموني".

انا أفهم ان هذا كلام مرسل الى المحافظين انفسهم بمآلهم وانه دعوة لخلاص هؤلاء. ما يهمني اليوم من كلام السيد قوله: "كنت جائعاً" بمعنى انه واحد مع هذا الذي لا يقتني شيئاً وان هذا له ان يفخر بأنه يعيش في مقام مع المسيح فيما هو في هذا المقام أي فيما هو لا يشتمى ما ليس هو عليه. اذا اقام خارج هذا المقام اعطى المحتاج ليس عندنا وعد بأن المسيح معه. ندخل، ان ذلك، في معالجة اخرى.

الفقير - فيما هو على حاله - حبيب المسيح ومحبه. من اعطاه شيئاً بلا استملاء ولا منة ولكن حباً ومشاركة بحبه السيد ايضاً. انه يشترى نفسه. اما لصيق التراب والذل فمن حيث هو جعل الناصري حليفه. ومن اراد ان يقترب من الناصري يقترب هو منه. بلا هذا الدنو من الضعاف ليس لأحد صلة مع فقير الناصرة. ليس لي ان أعلمك سبل الدنو. الحب يعلم كل شيء.



ان تكون جليسي المسيح وانت على الارض كرامة لا بعدها كرامة. هذه ليست ملهامة عن الجهد الدؤوب الذي اذا لم نبذله في سبيل المحرومين نكون قد شاركنا في استمرار العوز